

جناح متمرّد



بثينة خليفة قاسم

كاتبة من البحرين

لهذه الأسباب «غوانتنامو» في الصدارة!

هاهي اليوم تعترف
أنها غير سعيدة بوجود
معتقل غوانتنامو، وأنها
بصدد إغلاقه قريبا
وتقديم معتقله للمحاكمة
القانونية، لعلها في ذلك
تنجح في خلطها للأوراق
وذو الرماد في أعين
المراقبين الدوليين، حتى
يكتشفوا «غوانتنامو»
جديد في ضواحي
وأروقة نيويورك!

■ معتقل غوانتنامو .. معتقل أنشئ برغبة أمريكية في الأراضي الكوبية بعد اتفاق بين الحكومتين باستئجار الأرض لصالح الحكومة الأمريكية لمدة 99 عاما، وذلك في يناير 2002، ولدواعي ما أسمته الإدارة الأمريكية الحرب على الإرهاب . ذاك ما ظهر، وأما ما بطن، فلم يتوانى الرئيس بوش الصغير عن ذكره في تبرير إنشاء المعتقل العسكري حينما قال ذات مرة : (تذكروا .. هؤلاء الأشخاص الموجودون في غوانتنامو قتلة، لا يشاركوننا نفس القيم).

وعلى ما يبدو، فقد فضحت مقولته تلك الكثير مما هو مستتر وخاف، أيعني ذلك أن من يختلف معك في الفكر أو القيم يقتل ويسجن أو يذوق الأمرين جراء ذلك ؟! أين هي مبادئ الحرية والديمقراطية والتشدد بالتعددية الفكرية إذن ؟ أتراها نصبت محل تمثال الحرية، لتصبح رمزا تذكاريًا يحمل شموعا منطفئة، أم ماذا؟ أخبرني "مستبر برز دنت"؟!

اعلم أن الضجة الإعلامية التي افتعلت حول معتقل غوانتنامو ليست بالأمر المستهان وعالمنا يضع يمناات الغوانتناموات المترامية بين أطرافه، بعضه مكشوف وأغلبه متوار خلف ستار من الأكاذيب والأقاصيص الملتوية، ولن يشفع انفتاح معتقل "غوانتنامو" وزيارة العديد من الراغبين والدارسين للتعرف على ما يجري في داخله من ممارسات مهينة، والأصل في الحكم هنا مقارنة النظام السياسي بدستوره وما يحويه من حقوق وواجبات وحكم للقانون، وليس مقارنته بالأنظمة السياسية الدكتاتورية أو الطاغية، ففي ذلك افتراء وتعد سافر لأصول المقارنات وفروقتها!

وأمرिका التي ما فتئت من محاولة تمكين نفسها حامية للعالم الحر، أتراها تدرك تبعه وأثار ممارسات جنودها مع المعتقلين في سجونها؟ والأمر ما عادت خافية، حيث فضحت كاميرات الفيديو ما فضحته من ممارسات مشينة في "غوانتنامو" وأبو غريب وغيرهما في حق رجال ونساء وأطفال أيضا، لا ذنب اقترهوه أو تهمة صريحة موجّهة ضدهم سوى أنهم يختلفون وقيم أمريكا .. أهذا يعقل؟ أهكذا تخاطب العقول؟!

غوانتنامو الذي دخله 1000 معتقل قبل خمسة أعوام، لم يبق منهم سوى 460 معتقلا، وصفه مفتشو ال اف بي آي «مكتب التحقيقات الفيدرالي» أنه حفرة سوداء غير مشروعة، تمارس فيها أرذل أنواع التعذيب والتنكيل، أقلها حرمان المعتقل من مقابلة ذويه أو كتابة وتلقي الرسائل، عوضاً عن التقييد بالسلاسل والتحقير والإهانة، كأن يتبول أو يتغوط الجنود الأمريكيون على القرآن الكريم ..

(وبالرجوع إلى بعض وقائع اليوميات التي دونها المعتقل البحريني جمعة الدوسري، 32 سنة، ونشرتها منظمة العفو الدولية، يؤكد الدوسري أن القوات الباكستانية كانت قد باعته إلى الأمريكيين لقاء حفنة دولارات، وأنه خضع للاستجواب 600 مرة، ووضع في زنزانة انفرادية دون سبب، وتعرض

لتهديدات بالقتل، كما مورست عليه سلسلة ضغوط نفسية أثناء جلسات التحقيق، بينها تعريضه للإذلال بواسطة جنديّة لا ترتدي سوى ملابس داخلية، ثم إجباره على مشاهدة مجلات إباحية) - منتدى محاميي سوريا، انتهاكات حقوق الإنسان -.

ويزيح الدوسري الستار عن سر تهاون أو تخاذل بعض الدول - عربية أو غير عربية - إزاء شروعه في المساعدة في إطلاق سراح معتقليها، بقوله: «إن القوات الباكستانية كانت قد باعته إلى القوات الأمريكية»، وبحسب بعض التقارير فإن المخابرات التابعة لأي نظام تلتفّق تقارير لبعض المعتقلين كي يبقوا في ضيافة الجلاذيين الأمريكيين، حيث التعاون البين بين المخابرات التابعة للأنظمة السياسية والسلي أي إيه، ولعلها إحدى تكتيكات فن السياسة أو أحد دهاليزه المعتمة ..

أمريكا بعد أن تعددت وصمات عارها وبعد أن تناوشتها سهام تقارير حقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية، ليس أبعدها التقرير السنوي لمفوضية حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة، والذي لا تؤثر فيها انتهاكات أمريكا المتتالية لحقوق الإنسان، بدءاً من تمييزها العرقي والأثني، وعدم مساواتها بين البيض والسود، مروراً بتنفيذ حكم الإعدام في الأحداث والمعاقين عقلياً، فضلاً عن تلاشي الضمانات الاجتماعية بين مواطنيها والتفاوت الطبقي الملحوظ، ففي نيويورك وحدها يعيش 36 ألف مواطن مليونير و38 ألف يقاتلون على نبش صناديق القمامة ..

هاهي اليوم تعترف أنها غير سعيدة بوجود معتقل غوانتنامو، وأنها بصدد إغلاقه قريبا وتقديم معتقله للمحاكمة القانونية، لعلها في ذلك تنجح في خلطها للأوراق وذو الرماد في أعين المراقبين الدوليين، حتى يكتشفوا "غوانتنامو" جديد في ضواحي وأروقة نيويورك!

فهل تستطيع أمريكا برناسة بوش الصغير تحقيق نجاح عالمي ومحلي في أن، أم ترى عزفها على وترين من شأنه أن يقطعهما سويا؟!

* في بريدي :

القارئ الكريم: عبدالسلام عزيز / الرياض بعد التحية، الصحفيون أنواع .. هناك صحفيون أحرار وهناك أنصاف أحرار، هناك صحفيون عبيد وهناك أنصاف عبيد .. أما الأحرار فهم أكثرهم تجنبا لربط رسالة القلم بمصدر العيش أو الرزق، وأساهم في ذلك أن رسالة الكلمة الحق لا تقدر بثمن! إذ هي لا تهدف إلى وصف وتحليل الحدث فحسب، وإنما تتجاوز به إلى مرحلة إحداث تغيير راديكالي وجذري في بنية المجتمعات، إذ هي تسهم بشكل أو بآخر في توجيه سياسة المنظومة أيا كانت سياسية، فكرية، اجتماعية .. الخ وتصويب اتجاهاتها، وقد قال عنها نابليون ذات مرة : " صوت صرير الأقلام يرهبن أكثر من دوي المدافع ■